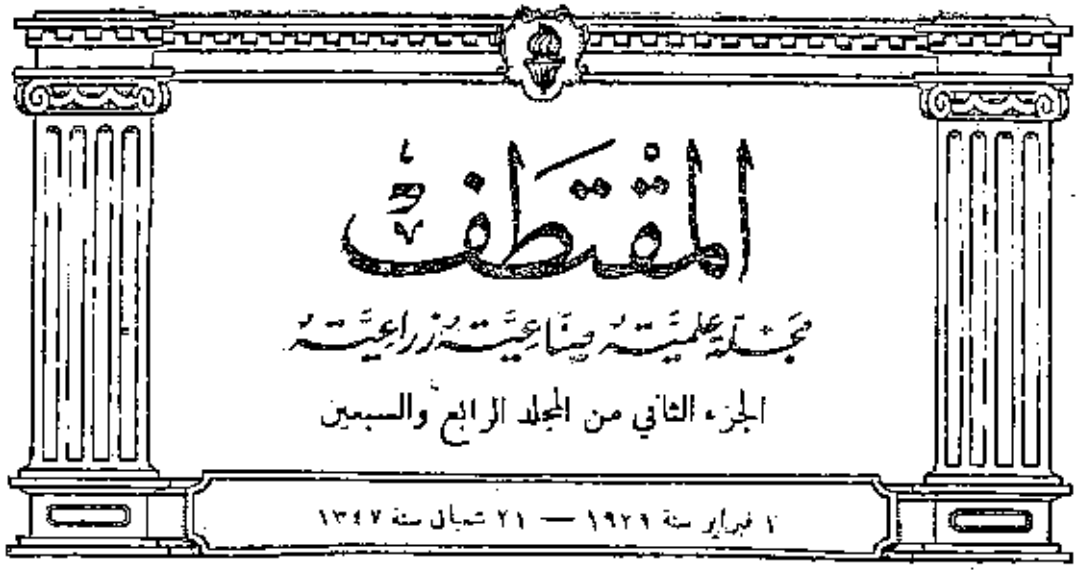

كلمات للدكتور صروف

الاعصاب وفعل الموسيقى

كنا في حداثتنا نُطرب لصوت الترتيل اليوناني ولأصوات المؤذنين والمغنين. ولما سمعنا المرتلين يرتلون في الكنائس الانكليزية استهجنا اصواتهم ولم نرَ فيها شيئاً يطرب او يحرك العواطف. واتفق اننا اقمنا مدة في بيت رجل اميركي وزوجته وكان امام كوة الغرفة التي نجلس فيها مأذنة يؤذن فيها مؤذن مشهور برخامة صوته ولكنهُ كان لا يكاد يشرع في التأذين حتى يقوم الرجل وزوجتهُ ويقفلان الشباك فنضطر أن ننتقل الى غرفة اخرى لنسمع اذانهُ. وكان الرجل من الماهرين بالعب على الارغن وكنا لا نطيق سماعهُ. ثم وُضع في يدنا كتاب لنترجمهُ الى العربية وفيهِ فصل عن الموسيقى الدينية وتأثيرها في النفوس فترجمناهُ وعقبنا عليهِ بان الموسيقى لا تؤثر التأثير الواجب الا اذا الفناها الاذن طويلاً. وطبع الكتاب فقامت علينا قيامة اصحابهِ ونزعوا منهُ الورقة التي فيها التعقيب. ثم مرَّت السنون ونحن نسمع الموسيقى الافرنجية والموسيقى العربية فصرنا نسرُّ بالاثنتين على حدٍّ سوى. ونحن نعلل ذلك بان الصوت الموسيقي لا يصل الى مركز الشعور بهِ في الدماغ الاَّ بعد ما يمرّ في سلسلة من الاعصاب والدقائق العصبية فيحركها حركة لم تكن قد الفتها فلا ترتاح لها بل قد تتعب منها فاذا تكرر من آونةٍ الى اخرى انتظمت تلك الدقائق الانتظام المناسب لسير امواج ذلك الصوت فيطل تمهامنهُ وتألفهُ وتصير تنتظرهُ فترتاح لحدوثهِ. واذا قُرن الصوت بكلام لهُ معانٍ مستحبة او مرتبطة بشيء محبوب زاد سرور النفس بهِ واشتركت مع اعصاب السمع اعصابٌ اخرى فتتحرك حركة موسيقية وتحرك معها الاعضاء الخاضعة لها حركة موسيقية أيضاً